

روح المعاني

تعالى : أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهذا من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره في هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لإقامة حجة الله تعالى على عباده .

وقيل : إن هذا القول كان جاريا على ظنهم أنه عليه السلام كان في ملتهم لسكوته قبل البعثة عن الإنكار عليهم أو أنه صدر عن رؤسائهم تلبيسا على الناس وإيهاما لأنه كان على دينهم وما صدر عنه عليه السلام في أثناء المحاورة وقع على طريق المشاكلة وذكر الشهاب احتمالا آخر في الجواب وهو أن الظاهر أن العود هو المقابل للخروج إلى ما خرج منه وهو القرية والجار والمجرور في موضع الحال أي ليكن منكم الخروج من قريتنا أو العود إليها كائنين في ملتنا فينحل الإشكال من غير حاجة إلى ما تقدم ولا يخفى بعده وإنما لم يقولوا أو لنعيدكم على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا بصورة الطوعية حذر الإخراج عن الوطن باختيار أهون الشرين لإعادتهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب ومن الناس من زعم أن تعودن لا يصلح أن يكون جوابا بالقسم لأنه ليس فعل المقسم وجعل ما أشرنا إليه أولى في بيان المعنى مخلصا من ذلك وهو باطل لأنه يقتضي أن القسم لا يكون على فعل الغير ولم يقل أحد به وقد شاع نحو والله ليضربن زيد من غير نكير وعدى العود بفي إيماء إلى أن الملة لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم قال استئناف كنظائره أي قال شعيب عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في أيمانهم الفاجرة : أولو كنا كارهين .

. 88

- على أن الهمزة لأنكار الوقوع ونفيه والواو للعطف على محذوف وقد يقال : لها في مثل هذا الموضع واو الحال أيضا ولو هي التي يؤتى بها لبيان ما يفيد الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بادخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوتها أو انتفائها معه ثبوتها أو انتفاؤها مع ما عداها من الأحوال بطريق الأولوية والكلام ههنا في تقدير أنعود فيها لو لم تكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في موضع الحال من ضمير الفعل المقدر والمآل أنعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة إنكارا لما تفيدته كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على أي حالة غير أنه اكتفى بذكر الحالة التي هي أشد الأحوال منافاة للعود وأكثرها بعدا منه تنبيهها على أنها هي الواقعة في نفس الأمر وثقة بإغنائها عن ذكر الأولى إغناء واضحا لأن العود الذي تعلق به الإنكار حين تحقق مع الكراهة على ما

يوجبهم كلامهم فلأن يتحقق مع عدمها أولى وهذا بعض مما ذكره شيخ الإسلام في هذا المقام وقد أطنب فيه الكلام وأتى بالنقص والإبرام فارجع إليه وقد جوز أن يكون الإستفهام باقيا على حاله وجعل بعضهم الهمزة بمعنى كيف ووجه التعجب إلى العود أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وتقدير فعل العود لقوة دلالة الكلام عليه أولى من تقدير فعل الإعادة كما فعل الزمخشري وفي التيسير تقدير فعل الإخراج أي تخرجوننا من غير ذنب ونحن كارهون لمفارقة الأوطان وقد وجه بأن العود مفروغ عنه لا يتصور من عاقل فلا يكون إلا الإخراج ولا يخفى ضعف هذا التقدير . وذكر أبو البقاء أن لو هنا بمعنى أن لأنها للمستقبل وجوز أن تكون على أصلها وما أشار إليه شيخ الإسلام في هذا المقام أبعد مغزى فليتأمل قد افترينا على الله كذبا عظيما لا يقادر قدره